

مخارج الحروف وصفاتها عند الخليل بن أحمد

دراسة ووصف لنصوص نادرة
مروية عنه بالإسناد



إعداد

د. محمد بن إبراهيم بن محمد نور بن سيف

الأستاذ المشارك بقسم القراءات - كلية القرآن الكريم -
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



- من مواليد عام ١٤٠٤هـ بمدينة مكة المكرمة.
- تخرج في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٦هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم القراءات في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٣٢-١٤٣٣هـ بأطروحة: تحفة المريد لمقدمة التجويد لإبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري (ت: ٨٩٣هـ). من أول الكتاب إلى نهاية شرح البيت رقم: (٥١): دراسة وتحقيقاً، كما نال منه شهادة الدكتوراه عام ١٤٣٧-١٤٣٨هـ بأطروحة: شرح تنمة الحزب من قراء أئمة الكنز لمحمد بن محمد بن محمد العمري العدوي الحنفي المعروف بسورمه لبي زاده، (ت: ٩٢٦هـ): دراسة وتحقيقاً.
- من أعماله المنشورة: ألقاب الحروف عند الخليل بن أحمد: دراسة تحليلية، رسالة الإمام محمد بن علي القرابي (ت: ٨٥٦هـ) في حكم الابتداء ببعض جمل الدعاء في القرآن الكريم: دراسة وتحقيقاً، تلاوة القرآن الكريم وتدارسه عند الإمام الأجرى في كتاب (أخلاق حملة القرآن): دراسة استقرائية وصفية، كتاب إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة: دراسة نقدية.
- البريد الإلكتروني: mh.saif.saif@gmail.com



الملخص

منذ بدأت رحلتي مع الخليل رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، قراءة وبحثًا ومدارسة، فإني لم أزل أجد أن نصوصه عن مخارج الحروف وما يتعلق بها يحتاج إلى دراسة أعمق، خصوصًا بعد الاطلاع على النصوص الواردة عنه في غير مقدمة كتاب العين، والتي حملت كثيرًا من التحريرات والإضافات والتفصيلات التي خلا منها كتاب العين، والتي تحل عددًا من الإشكالات التي يتناقلها الباحثون، وتضعها في موضع آخر في تصوراتهم، من خلال هذا البحث.

ولهذا الهدف فإن الدراسة اتجهت إلى وصف هذه النصوص وتقديمها في قالب يجليها للباحثين، واقتصرت في الغالب على حل ما يصعب فهمه فيها دون عميق تحليل ومناقشة، وتدع ذلك للباحثين المطلعين على هذا البحث المعتنين بهذه المسألة، وجاء ذلك الوصف في فصلين يدرسان النصوص دراسة إجمالية ودراسة تفصيلية تحقق المرجو بإذن الله تعالى، مع تمهيد تضمن نظرة عامة على المصادر التي وردت فيها نصوص الخليل.

ومن أهم ما توصلت له هذا الدراسة من نتائج:

- أن أهم نص نُقل عن الخليل في مخارج الحروف هو ما نقله عنه تلميذه الأخفش مما تضمنه كتاب تذكرة النحاة لأبي حيان نقلا عن كتاب الزهكال لجنادة الهروي، وكذلك النص المنقول عن تلميذه الآخر النضر بن شميل.

- أن للخليل قصب السبق في ترتيب الحروف وفقا لمخارجها من الأقصى إلى الأدنى.

- أن النص المنقول عن الأخفش امتاز بتعيين عدد مخارج الحروف عند الخليل، حيث صرح بأن لها «ستة عشر حيزًا»، وبالنظر في نصه يمكن الاقتراب من تأييد ما نقله عنه الإمام ابن الجزري ومن تبعه.

الكلمات المفتاحية: مخارج الحروف، صفات الحروف، أحياز الحروف، الخليل بن أحمد، التجويد، الأصوات.

المقدمة

الحمد لله كثيرًا، حفظ لعباده كتابه الكريم، ووفق من شاء منهم لخدمته بثاقب النظر ووثيق العلم، وجعل من علوم الدراية سياجًا منيعًا حول القرآن تجويدًا ولغةً وتفسيرًا، والصلاة والسلام على من بعثه الله بالقرآن هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فإن موضوع مخارج الحروف وصفاتها من أجلّ مباحث علم تجويد القرآن الكريم، حتى قال الإمام الداني رَحِمَهُ اللهُ: «اعلموا أن قطب التجويد، وملاك التحقيق: معرفة مخارج الحروف وصفاتها»^(١)، وكان رَحِمَهُ اللهُ قد قال: «أول من فتق هذه المخارج وميزها، وصنف الحروف وجنسها: الخليل بن أحمد، ثم احتذى حذوه، وسلك طريقه، عامة النحويين من الكوفيين والبصريين»^(٢).

ويأتي هذا البحث لدراسة نصوص هي في غاية الأهمية للإمام الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ، فصّل فيها الحديث عن مخارج الحروف بتفصيل يكشف عن مذهبه الذي لا زال الدارسون في حيرة من أمرهم في معرفة مذهبه وقوله في هذه المسألة؛ لأن دراساتهم تركزت حول نصه الذي في العين، ولم يعلم كثير منهم نصوصاً أخرى في المسألة تختلف اختلافًا جوهريًا عما حواه كتاب العين.

يهدف البحث - أول ما يهدف - إلى إبراز هذه النصوص للباحثين، وتقديمها إلى الساحة العلمية؛ لتكون منارة لهم في هذا الموضوع، وهو بذلك يخدم المشتغلين بعلوم القرآن الكريم من جهة تجويده وضبط ألفاظه وحروفه؛ لكونهم كثيرًا ما يشيرون إلى قول الخليل رَحِمَهُ اللهُ في هذه المسألة، كما فعل الإمام ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ (ت ٨٨٣هـ)، وتبعه العلماء من بعده^(٣)، ثم هو يخدم المشتغلين بعلم الأصوات المعتمدين بدراساته المتقدمة

(١) التحديد في الإتيان والتجويد (ص ١٥٤).

(٢) نقله المتوري في شرح الدرر اللوامع (٢/ ٨٢٨) عن كتاب المخارج للإمام الداني، وهو كتاب لم يُعثر عليه.

(٣) كما يأتي تفصيله ضمن الفصل الأول من البحث.

والحديثه، وتعطيهم بعض التصورات المهمة لهذه المسألة علميا وتاريخيا. على أن بعض الدارسين قد أشار إلى بعض تلك النصوص في دراساتهم، مما يعد غير كافٍ حتى الآن لإعطاء صورة متكاملة عن كلام الخليل عند جمعه من كل المصادر، والذي يظهر في كثير منه تعارض، تسعى هذه الدراسة إلى توضيحه ومناقشته وتحليله للوصول إلى أوفق الأقوال وأوضح التصورات عن كلام الخليل ﷺ في هذا الموضوع.

وفي كتابه "أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين" سعى أ.د. أحمد قدور إلى دراسة هذه النصوص، بل أوردها كاملة في القسم الثاني من الكتاب، إلا أن دراسته كانت مركزة على ما ورد في مقدمة كتاب العين أصالة، مع جعل ما عداها فرعاً لا أصلاً، فهو يذكر أن «الخليل لم يعين عدداً للمخارج على نحو ما رأيناه عند سيبويه ومن تلاه» ثم يقرر بعد أسطر قليلة أن «الأخفش الأوسط يروي عن الخليل أن الحروف العربية .. لها ستة عشر حيزاً»^(١).

وهو يعمم القول بأن الخليل «لم يكن قاصداً ترتيب المعلومات الصوتية على شكل دراسة شاملة موضوعة في إطار تألفي معهود» وأنه «إنما كان مهتماً بالوقوف على قواعد التشكيل الصوتي وصولاً إلى ابتناء معجم شامل»^(٢)، وهذا يصدق على نص العين دون بقية النصوص، لذلك فقد نص أ.د. أحمد على "مقدمة العين" في عنوان البحث، وأجمل الكلام عن النصوص التي ليست في العين، بل جاء بعنوان مبحث سماه: «نصوص من مقدمة كتاب العين أثبتتها أبو حيان الأندلسي في كتاب تذكرة النحاة»^(٣)، مع أن هذه النصوص في بنائها وترتيبها ونصوصها مباينة لما في كتاب العين مباينة ظاهرة، وكذلك فعل مع نص أورده الأزهري في كتاب تهذيب اللغة عن

(١) أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين (ص ٣٥).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٩).

(٣) المرجع نفسه (ص ١٠٩).

غير الليث، حيث جعله متابعًا لكلام سابق نقله الأزهرى عن كتاب العين^(١)، والحق أن النص المنقول عن غير الليث لم يرد في كتاب العين. وسبب صنيع أ.د. أحمد ظاهر في قوله: «وإذا عرف الباحث ما تعرض له كتاب التذكرة من خلط وخلل صار الاعتماد على ما ورد فيه وحده أمرًا غير مطمئن»^(٢)، قال ذلك بعد حديثه عن عد الحروف ثمانية وعشرين في نصين من كتاب تذكرة النحاة يبدو في الظاهر تعارضهما مع ما في مقدمة العين من عدها تسعة وعشرين، حيث قال عنها: «يبدو أن هاتين الروايتين اللتين تنسبان إلى كتاب لجنادة الهروي الأزدي (ت٣٩٩هـ) تحتاجان إلى توثيق آخر حتى يركن الباحث إلى صحة ما جاء فيهما»، وهذا أحد الإشكالات التي ستجيب عنها هذه الدراسة إن شاء الله.

خطة البحث:

تنقسم الدراسة في مجملها إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وملاحق وفهارس، على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد: مصادر دراسة مخارج الحروف وصفاتها عند الخليل بن أحمد.

الفصل الأول: الدراسة الإجمالية للحروف عند الخليل، في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عدد الحروف الأصول وترتيبها عند الخليل.

المبحث الثاني: عدد مخارج الحروف عند الخليل.

المبحث الثالث: مصطلحات الخليل في المخارج والصفات.

الفصل الثاني: الدراسة التفصيلية للحروف عند الخليل، في خمسة مباحث:

المبحث الأول: حروف الجوف.

(١) أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين (ص ١٠٥).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٦-٢٧).

المبحث الثاني: حروف الحلق.

المبحث الثالث: حروف اللسان.

المبحث الرابع: حروف الشفتين.

المبحث الخامس: صفات الحروف.

الفهارس:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

البحث قائم على المنهج الوصفي، ويمكن تحديد منهجه التفصيلي في الآتي:

- وصف النصوص عن الخليل بن أحمد في مخارج الحروف وصفاتها تحديداً، فهي في الجانب الصوتي خاصة، دون ما عدا ذلك من نواحٍ صرفية ومعجمية وغيرها.

- النصوص المدروسة في هذا البحث جاءت عن ثلاثة مصادر^(١)، هي على

النحو الآتي:

• تذكرة النحاة لأبي حيان، نقلا عن كتاب الزهكال لجنادة الهروي.

• العين للخليل بن أحمد.

• تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، في النص المنقول عن غير الليث^(٢).

- تلمس الجمع بين أقوال الخليل الواردة عنه في المصادر المختلفة قدر الإمكان، أو إظهار أسباب الاختلاف بينها إن وجد، ويلزم ذلك قدر من تحليل هذه النصوص بما يحقق هذه الغاية.

(١) يأتي تفصيل الكلام عنها في التمهيد.

(٢) يلاحظ أنه عند عزوي إلى نصوص كتابي "العين" و"تهذيب اللغة" لا أذكر الجذر اللغوي وأكتفي بالجزء والصفحة مع كونها معجمين؛ لأن النقول محل الدراسة جاءت في مقدمة الكتابين وليس في صلبها.

- تفسير الألفاظ الغريبة الواردة في نصوص الخليل، ولو احتاج المقام إلى تطويل؛ للوصول إلى فهم جيد للمراد من حديثه عن مخرج الحرف أو صفته.
- العمل على جعل نقل الألفاظ عنه كالخاتمة للحديث عن مخارج الحروف؛ إذ يمتاز عن غيره بأنه إنما أريد به الحديث عن مخارج الحروف على وجه التفصيل؛ بخلاف النصوص الأخرى التي جاءت في سياقات أريد منها الإجمال أو ذكر المخارج عرضاً لا أصلاً.
- النظر - عند الحاجة - في كلام العلماء الناقلين عن الخليل من المتقدمين والمتأخرين، وكلام الباحثين المعاصرين، في الموضوعات المدروسة، ومناقشة ما يحتاج منها إلى مناقشة أو مراجعة.



التمهيد

مصادر دراسة مخارج الحروف وصفاتها عند الخليل بن أحمد

النصوص الأصيلة عن الإمام الخليل بن أحمد في مخارج الحروف وصفاتها جاءت في ثلاثة مصادر، بعضها من كتابته وتأليفه هو، وبعضها منقول بالرواية عنه، وما عدا هذه المصادر الثلاثة إنما هو ناقل عنها، وهي على النحو الآتي:

أولاً: روايات عن تلاميذه: الليث بن المظفر^(١)، والنضر بن شميل^(٢)، والأخفش سعيد بن مسعدة^(٣):

وردت هذه الروايات الثلاث في كتاب "تذكرة النحاة" للإمام أبي حيان^(٤)، صَدَّرَها بقوله: «أبو أسامة جنادة بن محمد اللغوي^(٥) له كتاب سماه بـ"الزهدال في حصر الحروف والمصادر والأفعال"^(٦)، ذكر فيه بإسناد من طريق الليث بن المظفر

(١) هو الليث بن نصر بن سيار الخراساني، صاحب الخراساني، صاحب الخليل بن أحمد، ومدون كتابه العين، سمي الأزهري والده بالمظفر، كان بارعاً في الأدب بصيرا بالشعر والغريب والنحو. ينظر: إنباه الرواة للقفطي (٤٢/٣)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢/٢٧٠).

(٢) هو أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، من أعلام اللغة، ومن أصحاب الخليل بن أحمد، روى عنه يحيى بن معين وعلي بن المديني، وله في العربية تصانيف، توفي عام ٢٠٣هـ. ينظر: إنباه الرواة (٣/٣٤٨)، وبغية الوعاة (٢/٣١٦).

(٣) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط، صحب الخليل، وقرأ النحو على سيبويه وهو أسنُّ منه، وكان أحذق أصحابه، صنف كتباً في العربية، توفي سنة ٢١٥هـ. ينظر: إنباه الرواة (٢/٣٦)، وبغية الوعاة (١/٥٩٠).

(٤) (ص ٢٥) وما بعدها.

(٥) الهروي الأزدي، عالم باللغة، من أهل هراة، قال عنه ياقوت الحموي: «عظيم القدر شائع الذكر عارف باللغة، أخذ عن أبي منصور الأزهري وروى عنه كتبه»، وقال عنه ابن خلكان: «لم يكن في زمنه مثله في فنه»، وقال الذهبي: «كان علامة لغوياً أديباً»، توفي عام ٣٩٩هـ. ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢/٨٠٠)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٧٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨/٧٩٦)، وبغية الوعاة (١/٤٨٨-٤٨٩).

(٦) كتاب مفقود لا تُعرف له نسخ خطية بحسب بحثي.

بن نصر بن سيار، عن الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول...» إلخ، ثم قال: «وذكر أيضا من طريق النضر بن شميل المازني قال: سمعت الخليل يقول...» إلخ، ثم قال: «وذكر أيضا من طريق الأخفش سعيد بن مسعدة يقول: سألت الخليل بن أحمد عن حروف المعجم، وعن أحيائها ومجاريها إلى الفهم، فقال...» إلخ.

وظاهر للعيان القيمة العلمية العالية لهذه النصوص الثلاثة، كونها نادرة بالغة الأهمية من حيث موضوعها، ومن نُقلت عنه، وهو الإمام الخليل بن أحمد، والذي يُعد كلامه أصلا في موضوع مخارج الحروف، كما مر في المقدمة من قول الداني^(١): «أول من فتق هذه المخارج وميزها، وصنف الحروف وجنسها: الخليل بن أحمد»^(٢)، ولم تُنقل هذه النصوص من كتاب له، وإنما نقلها الإمام جنادة عنه بالإسناد كما هو ظاهر في النص.

وامتازت هذه النصوص عما في كتاب العين بأن فيها تفصيلا واضحا لمخارج الحروف، وذكر العدد المخارج، وغير ذلك؛ مما ليس في كتاب العين، وفيه حل لبعض الإشكالات والمسائل التي هي مثار أخذ ورد بين العلماء فيما ينسب إلى الخليل من آراء في المخارج والصفات، وهذا مما جعلنا نعدّها أكثر أهمية من النصوص الواردة في كتاب العين.

وعلى وجه التحديد، فإن أهم نص من هذه النصوص الثلاثة هو النص المنقول عن الإمام الأخفش عن الخليل؛ لأن فيه سؤالاً صريحاً وواضحاً عن مخارج الحروف، وإجابة مفصلة شافية كافية عن مخارج الحروف مخرجا مخرجا، مما لم يحوه أي نص آخر من النصوص المنقولة عن الخليل.

(١) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الداني، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، العلامة شيخ مشايخ المقرئين صاحب التأليف الكثير في علم القراءات وغيره، ولد سنة ٣٧١ هـ، ورحل من الأندلس إلى بلاد المشرق، وأخذ عن جمع كبير من العلماء والمقرئين، توفي عام ٤٤٤ هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (٧٧٣/٢)، وغاية النهاية لابن الجزري (٤٤٧/١).

(٢) منقول عن كتاب المخارج للإمام الداني، ينظر التعليق في مقدمة البحث.

ويأتي في الدرجة الثانية النص المنقول عن الإمام النضر بن شميل، فإنه وإن كان موافقا جزئياً لما في كتاب العين للخليل من ذكر الألقاب، إلا أنه يمتاز عنه ببيان مخارج الحروف وتفصيلها بوضوح بعد ذكر كل لقب وتفسير معناه. ونسبة هذه النصوص للخليل لا إشكال فيها، فإنها متوافقة في الغالب مع الذي في كتاب العين للخليل، مع زيادة تفسير وتوضيح.

ثانياً: نص كتاب العين للخليل^(١):

وهو أكثر النصوص شيوعاً لدى العلماء المتقدمين والمتأخرين، وتدور عليه كل دراسات المعاصرين، جاء في أوله: «قال الخليل: اعلم أن الحروف الذُّق والشفوية ستة...» إلخ، ثم جاء فيه: «قال الليث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفاً...» إلخ.

وهو - لا شك - نصٌ نفيس؛ لذلك دارت حوله الدراسات واستفاضت تحليلاً ومناقشةً ومباحثةً عند الأئمة المتقدمين والمتأخرين^(٢)، وكذلك في كثير من الدراسات المعاصرة التي بلغت العشرات^(٣)، وهو يكتسب أهمية واضحة من جهة

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٥١/١) وما بعدها.

(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه للسرياني (٣٩٢/٥) وما بعدها، وتهذيب اللغة للأزهري (٤٦/١) وما بعدها، وسر صناعة الإعراب لابن جنبي (٤٥/١)، الرعاية لمكي بن أبي طالب (ص١٣٩)، والكامل للهذلي (٢٨٨/١)، والتمهيد لابن الجزري (ص٩٥)؛ والنشر له (٥٢٨/٣).

(٣) منها على سبيل المثال:

- "التفكير الصوتي عند الخليل بن أحمد" تأليف: د. أحمد حلمي خليل.
- "المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد" تأليف: د. عمرو مذكور.
- "الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات" تأليف: د. أحمد الزوي.
- "الخليل رائد علم الصوت" تأليف: د. حازم الحلي.
- "جهود الخليل بن أحمد في الدراسات الصوتية" للباحثة: أحلام محجوب المدني.
- "أعضاء النطق ووظيفتها الصوتية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي" لزهية مرابط.
- "أثر مصطلحات الخليل الصوتية ومنهجه في دراسات معاصريه" د. المهدي بوروبة.

كونه كتاباً كتبه الخليل رَحْمَةً بِنَفْسِهِ، ومع أن هناك خلافاً معروفاً لدى العلماء في نسبة الكتاب للخليل أو لتلميذه الليث، إلا أن جمعاً من العلماء أكدوا على صحة نسبته إلى الخليل، وخصوصاً مقدمة الكتاب التي ورد فيها النص الذي هو قيد الدراسة، قال أبو منصور الأزهري^(١): «لم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه»^(٢)، والنص الذي ندرسه هو من التأسيس المجمل في أول الكتاب، والأكثر دلالة من كلام الأزهري هو التصريح في أول النص نفسه بقوله: «قال الخليل»؛ مما يجعل هذه النسبة محل اليقين الذي لا شك فيه.

ثالثاً: نص الخليل عن غير الليث بن المظفر في كتاب "تهذيب اللغة":

وذلك أن الأزهري في أول كتابه أورد بايين: «باب ألقاب الحروف ومدارجها»، و«باب أحياء الحروف»، وصدر كلا منهما بقوله: «قال الخليل بن أحمد»، وتضمننا الكلام السابق نفسه الذي في كتاب العين، ثم في أثناء الكلام قال: «وروى غير ابن المظفر عن الخليل بن أحمد أنه قال: الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً... إلخ»^(٣).

- "الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه" تأليف: د. عليان الحازمي.
 - "موازنة بين الخليل وسيبويه من خلال مقدمة العين للخليل والكتاب لسيبويه" د. هدى السداوي.
 - "أهمية النظرية الخليلية في الدرس اللساني العربي الحديث" د. صفية مطهري.
 - "النواحي الصوتية في كتاب العين والنظرية الحديثة في علم الصوت" د. خليل الحماش.
- (١) الحسن بن عبد الله بن المرزبان، عالم لغوي ومنتقن، وهو الذي فسّر كتاب سيبويه، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، نقل السيوطي عن أبي حيان التوحيدي أنه قال: «أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة، معرفةً بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والمهندسة»، توفي سنة ٣٦٨هـ. ينظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص ١١٩)، وإنباه الرواة (٣٤٨/١)، وبغية الوعاة (٥٠٧/١).

(٢) تهذيب اللغة (٤١/١).

(٣) المرجع نفسه (٥٠/١).

وهو نص يعد فريداً من حيث البناء، وفيه جوانب اتفاق وجوانب اختلاف عن النصوص السابقة؛ مما يجعله حرياً بأن يُعد وحدة مستقلة عنها، ولكنه ليس شاملاً، وإنما أشار إلى بعض الجوانب المهمة.

وقد جمع د. أحمد محمد قدور في كتابه "أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين"^(١) جميع النصوص التي وردت عن الخليل بن أحمد في مخارج الحروف من كتاب العين وغيره، مصدرًا بنص كتاب العين، ثم نص كتاب تهذيب اللغة متضمناً ما نقله من كتاب العين، ثم نصوص كتاب تذكرة النحاة، والترتيب الذي ذكرته أولى وأحرى؛ للأسباب التي ذكرتها عند كل نص.

وأما الكتب الأخرى المتضمنة لكلام الخليل في المخارج والصفات وما يتعلق بها مما أوردتُ بعضه في الحديث عن نص كتاب العين، فإنها هي ناقلة لم تزد على هذه النصوص التي في هذه الكتب الثلاثة، والله تعالى أعلم.



(١) ينظر: أصالة علم الأصوات عند الخليل لأحمد قدور (ص ٨٥) وما بعدها.

الفصل الأول

الدراسة الإجمالية للحروف عند الخليل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عدد الحروف وترتيبها عند الخليل

وردت عن الخليل عدة نصوص في ذكر العدد الإجمالي للحروف، ففي كتاب "العين" قال: «في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون صحاح لها أحياناً ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة»^(١)، بينما في كتاب جنادة - نقلاً عن الليث بن المظفر عن الخليل - أن: «الحروف العربية ثمانية وعشرون أصلاً، يتفرع عنها سبعة فصلاً، فمن هذه الأصول: خمسة وعشرون حرفاً صحاح»^(٢)، وعند الأزهري قال: «الحروف التي بُني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً.. والحروف الثمانية والعشرون على نحوين: معتل وصحيح، فالمعتل منها ثلاثة أحرف: الهمزة والياء والواو»^(٣).

فأما نص العين فجعل فيه حروف الجوف أربعة، وعدّها فيها الألف اللينة والهمزة، وأما النقل الذي في كتاب جنادة فأريد به التفريق بين الحروف الأصول والفروع، واتفق مع نص العين في جعل الحروف الصحاح خمسة وعشرين، ولم يصرح فيه بالحروف المعتلة، بينما صرح بها في النص الذي عند الأزهري بعبارة عامة كنص العين إلا أنه في الحروف المعتلة ذكر الهمزة ولم يذكر الألف»^(٤).

(١) العين (١/٥٧)، والنص به أخطاء في هذه الطبعة تم تصحيحها بالاعتماد على تحقيق عبد الله درويش لمقدمة كتاب العين (ص ١٦٤)، وعلى تحقيقها الآخر لمحمد حسن آل ياسين المشور تحت عنوان: "مقدمة كتاب العين في أرجح نصوصها" (ص ٥٤).

(٢) تذكرة النحاة لأبي حيان (٢٥/٢٩).

(٣) تهذيب اللغة (١/٥٠).

(٤) يأتي في المبحث الأول من الفصل الثاني بيان تفصيلي لهذه المسألة.

ومما يمكن أن يكمل الصورة هنا ويوجه فعل الخليل هذا قول الإمام المبرد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً، منها ثمانية وعشرون لها صوراً»^(١)، والذي لا صورة له هو الهمزة، وأما سيبويه - تلميذ الخليل - فجعل الحروف الأصول تسعة وعشرين، عندما قال: «فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً»^(٢)، وعليه أكثر العلماء^(٣).

وأما ترتيب الحروف إجمالاً^(٤) فإن الإمام الخليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جعله وفقاً للصوت وخروج الهواء، بدءاً بالحروف التي تخرج من الحلق صعوداً، حتى انتهى إلى الحروف التي تخرج من الشفتين، وجعل ترتيب معجمه "العين" مبنياً على ذلك، وهو الذي اشتهر عند العلماء من بعده، خلافاً للإمام صالح بن إسحاق الجرمي (ت ٢٢٥هـ) الذي نقل عنه أبو الكرم الشهرزوري (ت ٥٥٠هـ) تفصيل مخارج الحروف مبتدئاً بالشفيتين منتهياً بأقصى الحلق ثم الخياشيم^(٥).



(١) المقتضب للمبرد (١/١٩٢).

(٢) كتاب سيبويه (٤/٤٣١).

(٣) وينظر: سر صناعة الإعراب (١/٤١)، وشرح الهداية للمهدوي (ص ٢٦٧).

(٤) يأتي الحديث عن ترتيبها تفصيلاً في مباحث الفصل الثاني.

(٥) ينظر: المصباح الزاهر للشهرزوري (٢/٦٧٥-٦٧٦)، وأبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد

(مخارج حروف العربية عددها وترتيبها بين الدرس القديم والدرس الحديث عرض ومناقشة) لغانم الحمد

(ص ٥٠) وما بعدها.

المبحث الثاني

عدد مخارج الحروف عند الخليل

هذه مسألة تُعد من المسائل المشكّلة عند الباحثين، ومحل الإشكال فيها هو التعارض بين ما نص عليه الإمام ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ من كون الخليل بن أحمد يجعل مخارج الحروف سبعة عشر وبين ما في كتاب العين للخليل من عدم التصريح بهذا العدد، وعدم بلوغ النص الذي فيه ما يقارب هذا العدد.

يقول الإمام ابن الجزري: «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين: كالخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي وأبي الحسن شريح وغيرهم، سبعة عشر مخرجا، وهذا الذي يظهر من حيث الاختبار، وهو الذي أثبتته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها»^(١)، والذي يعيننا هنا هو نسبة هذا القول إلى الخليل دون غيره من العلماء المذكورين في النص.

ويقول الخليل في كتاب العين: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء .. ثم الهاء .. فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقيّة، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء في حيز واحد، ثم الطاء والذال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه»^(٢)، ولا تتجاوز الأحياز المذكورة في هذا النص أحد عشر حيزا^(٣).

(١) النشر (٣/٥٢٦).

(٢) العين (١/٥٧-٥٨).

(٣) ينظر: أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد (ص ٥٠).

وفي موضع آخر من كتاب العين يذكر بعض مخارج الحروف بتفصيل أوضح من النص السابق، ولكنه كان في سياق التفريق بين الحروف الدُّلِق والشفوية وبين الحروف الصَّحاح الأخرى، فلم يكن مقصده تفصيل مخارج الحروف مخرجا مخرجا^(١).

وجاء في نص العين أيضًا ذكر ألقاب الحروف، وهي مرتبطة بالمخارج، غير أن مقصد الألقاب مختلف، فجاءت الألقاب تسعة أو عشرة، من خلال استقراء نصه، وكذلك وردت هذه الألقاب في النص الذي رواه النضر بن شميل عن الخليل بكتاب تذكرة النحاة^(٢).

وقد جاء حل هذا الإشكال في النص الذي نقله الأَخْفَش عن الخليل، والمنقول من كتاب الزهكال في كتاب تذكرة النحاة، حيث قال الأَخْفَش: «سألت الخليل بن أحمد عن حروف المعجم، وعن أحيائها ومجاريها إلى الفم، فقال: أما الحروف العربية فثمانية وعشرون أصلاً، ولها ستة عشر حيزاً»^(٣)، فصرح بأن عددها ستة عشر، وسأها أحياءاً كما في النص الذي سبق، ولكن يمكن القول بأن الأحياء هنا بمعنى المخارج تحديداً^(٤)؛ لأنه بيَّنَّها بعدد، حيث ذكر المخارج الستة عشر، وجاء تفصيلها على طريقة المخارج عند العلماء، وكان الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «وقد ذكر الخليل ستة عشر مخرجاً وهي هذه التي ذكرنا إلا أنه فصل قليلاً فيها على ترتيب ما»^(٥) وكان قبلها قد ذكر ألقاب الخليل التسعة مع اختلاف يسير، ويبدو أنه يشير بقوله إلى نص الأَخْفَش هذا، والله أعلم.

(١) يأتي الكلام عنها في الدراسة التفصيلية لمخارج الحروف ضمن الفصل الثاني.

(٢) تنظر دراسة هذه الألقاب والتعريف بها في بحثي: ألقاب الحروف عند الخليل بن أحمد دراسة تحليلية.

(٣) تذكرة النحاة (ص ٢٩).

(٤) يأتي التعريف هذين المصطلحين وغيرهما عند الخليل في المبحث الأخير من هذا الفصل.

(٥) الكامل للهذلي (١/ ٢٩٠).

وفي بداية هذا النص جاء بتمهيدٍ ذكر فيه طبيعة حروف الجوف، ويظهر في كلامه أنه أخرجها من هذا العدد؛ مما يجعلها مخرجاً مستقلاً غير الستة عشر، بحيث يمكن أن يقال أن المخارج تكون عنده سبعة عشر مع مخرج الجوف، ويلحظ فيه عدم التصريح بمخرج الهمزة والهاء والعين والحاء^(١)، قال^(٢):

١. ولُبدُوّ الياء والواو والألف من الجوف سميت جُوفاً.. مع اختلاف مجاريها وتباين مباديها.

٢. بدل الهمزة والهاء والحاء من العين.

٣. ثم الغين والحاء، ولها من الحلق المدرجة التالية؛ لقربهما من منفذهما.

٤. ثم القاف من فوق اللسان مبدؤه، وعلى فويق الحنك مجراه.

٥. ثم تكون الكاف من أسفله حتى يدنو من محله.

٦. ثم الشين، وله من وسط اللسان شده، ومن بين الحنك متسداه.

٧. ثم الجيم والياء، وهما من مبدئه، ويعارضانه في مجراه.

٨. ثم يعارضها لفظ الضاد معارضة الأضداد^(٣)، من حافة المنباس، وما يليها

من الأضراس، وهما مع اختلافهما في الجريان بدلان مختلفان؛ لأن بعض الناس يخرجها من الشدق الأيمن، وبعضهم يخرجها من الشدق الأيسر.

٩. ثم من حروف اللسان^(٤) إلى متنهاه مبدأ اللام، وهو من البدل والجريان في

حيز التمام؛ لأن مجراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المثني، معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات، مشاركاً لبعضها في الانحراف.

(١) يأتي التعليق عليه بعد النص.

(٢) ويأتي شرح النص بالتفصيل ضمن الفصل الثاني.

(٣) كذا يستقيم النص، بينما في المخطوط (لوحة رقم ١٨): (لفظ الأضداد معارضة الأضداد) وفيه إشكال واضح، حيث إن السياق واضح في الكلام على حرف الضاد، وفي المطبوع (ص ٣٠) أكثر إشكالا، حيث تحرف النص إلى: (لفظ الأضداد معارضة الأضداد).

(٤) يبدو أنه يقصد بالحروف الحافات، هذا محتمل لكونه يتفنن في العبارات ويغير في التعابير.

١٠. ثم النون المتحركة .. وهي مشربة غنة، ومخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا .

١١. ثم الراء بينهما، وهو أدمج من النون في العكّد^(١)؛ لانحرافه إلى اللام كالمستعكد.

١٢. ثم الصاد والسين والزاي، ولها من وسط اللسان شبأته، ومن فويق الثنايا سرأته.

١٣. ثم الطاء، والذال، والتاء: من طرف اللسان وأطراف الثنايا^(٢).

١٤. ثم الظاء والذال والتاء: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا.

١٥. ثم الفاء: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

١٦. ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين.

١٧. ثم النون المخفية من الخياشيم^(٣).

والسمة الرئيسة والمهمة في هذا النص هو عد المخارج ستة عشر بتصريح الخليل، وسبعة عشر في صورتها النهائية، وهو ما يحل الإشكال العلمي الذي يُداول لدى الباحثين كما ذكرنا، مع ملاحظات مهمة على النص تتمثل في الآتي:

أولاً: لم يصرح بمخرج الهمزة والهاء والعين والحاء، لكنه بعد أن ذكرها قال: «ثم الغين والحاء ولها من الحلق المدرجة التالية»؛ مما يدل على أن في الحلق عنده مدرجتان، فتكون الهمزة والهاء والعين والحاء من المدرجة الأولى إلى جهة أقصى الحلق، والغين

(١) يأتي تفسير هذا اللفظ: (العكّد) واللفظ التالي: (المستعكد) ضمن الفصل الثاني عند الحديث عن حروف اللسان.

(٢) كذا جاءت العبارة في المطبوع والمخطوط، وهي مكررة بنصها في المخرج التالي، والصحيح: "أصول الثنايا" بدل "أطراف الثنايا"، ويبدو أنه وقع سهو في نسخ النص، خصوصاً مع وقوع سقط الحلق في هامش المخطوط، وهو عبارة: "الطاء والذال والتاء: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ثم"، ويأتي تفصيل التعليق عليه ضمن المبحث الثالث من الفصل الثاني.

(٣) تذكرة النحاة (ص ٢٩-٣١).

والحاء من المدرجة الثانية إلى جهة أدنى الحلق، وقد مر في نص كتاب العين أنه قال: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء .. ثم الهاء .. فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الحاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية»^(١)، وقال مبيّناً مخرج جميع حروف الحلق: «وأما مَخْرُجُ العين والحاء والهاء والحاء والغين فَالْحُلُقُ»^(٢)، فجعل معها الغين والحاء، وقال في نص تهذيب اللغة عن غير الليث: «خمسة أحرف مخرجها من الحلق وهي ع ح ه خ غ»^(٣)، وقد حدد في نص العين موضع الهمزة فقال: «وأما الهمزة فَمَخْرَجُهَا من أَقْصَى الحَلْقِ»^(٤).

ثانيا: جعل الألف من الجوف، مع التفريق بين حالتي الياء والواو المدية وغير المدية، بحيث جعل المدية من الجوف، وغير المدية من مواضعها في اللسان والشفيتين، ولم يصرح بوصف (المدية) و(غير المدية)، ولكن ذكّر الحرفين في موضعين يظهر منه التفريق بين الحالتين، وأما سيبويه تلميذ الخليل فلم يذكر الجوف، بل جعل الألف من أقصى الحلق، وأطلق الواو والياء وجعلها من مخرجها غير مديتين^(٥)، وتابع سيبويه على ذلك جمهرة من العلماء^(٦).

ثالثا: التفريق بين مخرج الشين ومخرج الجيم والياء، وسيبويه والعلماء من بعده جعلوا الثلاثة من مخرج واحد^(٧).

رابعا: التفريق بين مخرج كل من اللام والنون والراء، وهو ما عليه سيبويه وأكثر

(١) العين (١/٥٧-٥٨).

(٢) المرجع نفسه (١/٥٢).

(٣) تهذيب اللغة (١/٥١).

(٤) يأتي شرح نصوص الخليل المتعلقة بالهمزة وحل ما بينها من ظاهرات التعارض في موضعه من الفصل الثاني.

(٥) ينظر: كتاب سيبويه (٤/٤٣٣).

(٦) ينظر مثلا: سر صناعة الإعراب (١/٤٦)؛ والرعاية (ص ٢٤٣)، وشرح الهداية (ص ٢٦٧-٢٦٩)،

والتحديد (ص ١٠٢).

(٧) يأتي أيضا شرح ذلك في موضعه من الفصل الثاني.

العلماء^(١)، ويخالفه الفراء (ت٢٠٧هـ) وقطرب (ت٢٠٦هـ) والجرمي (ت٢٢٥هـ) وابن كيسان (ت٢٩٩هـ) الذين عدوا الثلاثة من مخرج واحد^(٢)، ومثلهم جمهرة من علماء الأصوات المعاصرين^(٣).

خامسا: جعل الخياشيم مخرجا للنون المخفية، وسيبويه وابن جني وغيرهم ساروا على ذلك وسموها بالنون الخفية أو الخفيفة^(٤)، أما الإمام ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ فقال: «المخرج السابع عشر: الخيشوم، وهو للغة، وهي تكون في النون والميم الساكتين حالة الإخفاء أو ما في حكمه من الإدغام بغنة»^(٥).



(١) ينظر: كتاب سيبويه (٤/٤٣٣)، وسر صناعة الإعراب (١/٤٧)، وشرح الهداية (ص٢٦٨).

(٢) ينظر: الرعاية (ص٢٤٣)، والتحديد (ص١٠٤)؛ والنشر (٣/٥٢٧).

(٣) ينظر: أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد (ص٦٩).

(٤) ينظر: كتاب سيبويه (٤/٤٣٤)، وسر صناعة الإعراب (١/٤٨)، والموضح لعبد الوهاب القرطبي (ص٧٩).

(٥) النشر (٣/٥٣٤).

المبحث الثالث

مصطلحات الخليل في المخارج والصفات

استعمل الخليل في التعبير عن مخرج الحرف عددا من المصطلحات، هي: (الحيز)، و(المبدأ)، و(المجرى)، و(المدرج أو المدرجة)، إضافة إلى المصطلح المعروف: (المخرج)، وهي تتداخل وتتقاطع في معانيها^(١)، وتفسير هذه المصطلحات عنده على النحو الآتي:

أولاً: الحيز والأحياز:

هذا المصطلح من أشهر المصطلحات عند الخليل، وهو محل نظرٍ ودراسةٍ من الباحثين، ومن أهم ما قيل في تفسيره ما قاله أ.د. عادل أبو شعر: «استعمل الخليل (الحيز، الأحياز) كأماكن في مجرى النطق نَسَبَ إليها مجموعة من الحروف»، ثم قال: «وهو بهذا المعنى أوسع من المخرج؛ لأن المخرج ربما ضم حرفاً واحداً فقط، وربما أكثر، أما الحيز فلا بد أن يحتوي على مجموعة من الحروف حتى يطلق عليه هذا الاسم»، وهذا ما يطلق عليه المخرج الكلي في مقابل المخرج الجزئي.

وهذا التفسير لمعنى الحيز ينطبق على ما في كتاب العين خاصة، الذي جاءت فيه الأحياز في حدود العشرة، في قوله: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء، وقال مرة ههه لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء في حيز واحد، ثم الطاء والذال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم في

(١) ينظر: "المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب لعادل أبو شعر (١/٣٩٣) وما بعدها.

حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه^(١).

أما في إجابة الخليل للأخفش فقد ذكر أن الحروف «ها ستة عشر حيزاً»، واختص بعضها بحرف واحد، كالضاد، واللام، والنون، والراء، التي ذكر لكل منها حيزاً مستقلاً، فيكون معنى (الحيز) في هذا النص مرادفاً لمعنى المخرج في إطلاقه المعروف عند العلماء، ويكون معنى زائداً على الذي أشار إليه أ.د. عادل أبو شعر في نصه السابق؛ إذ لم يطع على نص الأخفش في تذكرة النحاة كما يبدو؛ لعدم إشارته إليه، ويمكن أن يقال إن المعنى في نص الأخفش مخصص لعموم المعنى المشار إليه في العين وغيره، والله أعلم.

ثانياً وثالثاً: المبدأ والمجرى:

مصطلح المبدأ يستعمله الخليل كثيراً، وهو مقارب عنده لمعنى المخرج، فمن ذلك أنه يذكره عند تعليل ألقاب الأحرف المشتقة من نسبتها إلى مخارجها، كقوله: «والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللهاة»، وقوله: «والفاء والباء والميم شفوية - وقال مرة: شفوية - لأن مبدأها من الشفة»، وهو يقول عن حروف المد الثلاثة أن «أصل مبتدئهن من عند الهمزة».

وأما مصطلح المجرى فهو أقل استعمالاً، ولم يرد في كتاب العين، وفي غيره جاء مقارنة لمصطلح المبدأ في الغالب، كقوله فيما نقله النضر عنه: «الطاء^(٢)، والذال، والطاء: نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، ومجراها على طرف اللسان وأصول الثنايا^(٣)»، وقوله: «الراء، واللام، والنون: ذُّقُّ..؛ لأن مبدأها من ذُّق اللسان.. وهذه الحروف يجمعها الذُّقُّ، ويفرقها المنطق؛ لأن مجرى اللام من حافات اللسان

(١) العين (١/٥٧-٥٨).

(٢) في المطبوع: الطاء، وهو تصحيف ظاهر.

(٣) تذكرة النحاة (ص ٢٧).

إلى منتهى طرفه، ومجرى النون بين فويق الثنايا من طرف اللسان، وأما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام؛ لمزية دُمُوجها في ظهر اللسان عند الكلام»^(١).

وأما نقل الأَخْفَش عنه ففيه مزيد تفريق بين المبدأ والمجرى، واستعمال واضح لكل منهما، وذلك أنه بعد ذكر كون الحروف «لها ستة عشر حيزاً» قال: «فمنها ما اتفق مبدؤها واختلف مجراها، مثل: الجيم مع الياء، والواو مع الباء، والألف مع الهاء»^(٢)، ثم بعد ذكر حروف المد واللين الثلاثة قال: «مع اختلاف مجاريها وتباين مبادئها»، ويشبه ذلك قوله المنقول عن غير الليث في تهذيب الأزهري: «والحروف المعتلة تختلف حالتها فتجري على مجاري شتى»، وهو قبل ذلك بقليل يقول: «الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة، وهؤلاء في مجرى واحد»^(٣).

وعند تفصيل مخارج الحروف في نقل الأَخْفَش عنه يزيد الوضوح أكثر في التفريق بينها، فيقول مثلاً: «ثم القاف من فوق اللسان مبدؤه، وعلى فويق الحنك مجراه»، ويقول: «ثم الشين، وله من وسط اللسان شداه، ومن بين الحنك متسداه.. ثم الجيم والياء، وهما من مبدئه، ويعارضانه في مجراه»^(٤).

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الخليل يرى أن خروج الحرف له موضع ابتداء، وموضع جريان يقع تالياً له في الفم، وأنه قد يتفق موضع الابتداء، ويختلف الموضع التالي له، وهو تفريق دقيق جداً، أهم ما فيه أنه يوضح طبيعة بعض الحروف المتفقة في المخرج، كالتي ذكرها في قوله السابق: «مثل: الجيم مع الياء، والواو مع الباء، والألف مع الهاء»، ويمكن القول بأن التفريق بينها بالصفات على ما جرى عليه

(١) تذكرة النحاة (ص ٢٧).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٩).

(٣) تهذيب اللغة (١/ ٤٣).

(٤) تذكرة النحاة (ص ٢٩).

العلماء من بعد أصبح مناسباً ويعطي تصوراً كافياً عن طبيعة الحروف متفقتة المخارج، والله أعلم.

رابعاً: المدرج والمدرجة:

قال الخليل: «في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون صحاح لها أحياناً ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة. والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»^(١).

والمراد من المدرج والمدرجة في مخارج الحروف: تواليها وترتيبها من الداخل إلى الخارج، بمعنى أنها درجات في الترتيب الصوتي من مخرج أعلى إلى مخرج أدنى منه، كقوله بعد ذكر الهمزة والهاء والعين والحاء: «ثم الغين والحاء، ولها من الحلق المدرجة التالية»^(٢)، وهو أحياناً يجعل الحلق كله مدرجة واحدة، وذلك بالنسبة لما بعده من مدارج اللسان بعامته، قال: «خمس حلقية على مدرجة للصوت واحدة، من أقصى الحلق إلى أدناه، وهي: الهاء، والحاء، والعين، والحاء، والغين»^(٣).

خامساً: المخرج:

استعمل الخليل هذا المصطلح، ولم يكن أمره مستقرّاً في زمنه، فلذلك قارنته المصطلحات السابقة، والتي كان أهمّها مصطلح الحيز كما مر، وهو عنده أوضح وأظهر من مصطلح المخرج، ومن استعماله لمصطلح المخرج قوله: «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين... ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء

(١) العين (١/٥٧)، ومرّ تعليقٌ على بعض هذا النص من حيث تصحيحه بالاستفادة من طبعات أخرى لمقدمة كتاب العين.

(٢) تذكرة النحاة (ص ٢٩)، وينظر: المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب (١/٤٠٧).

(٣) تذكرة النحاة (ص ٢٥)، وسقطت كلمة "والغين" في المطبوع، وأثبتها من المخطوط (لوحة ١٤).

لقرب مخرج الهاء من الحاء»^(١)، وقوله: «أربعة عشر حرفا مخارجها من الفم، مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه»^(٢)، وقوله: «الفاء، والباء، والميم، مخارجها من مدرجة واحدة»^(٣)، وقوله: «وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم»^(٤).

وأما صفات الحروف فلم يستعمل الخليل مصطلحا واضحا يجمعها، وقد استعمل مصطلح (اللقب) في قوله: «خمسة وعشرون حرفا صحاح، يجمعها لقبان: المصممة والمذلقة»^(٥)، غير أنه لا تظهر فيه سمات المصطلح الذي استقر في معنى الصفة إلا من جهة فكرة تمييز الحروف بتصنيفات جامعة تدخل تحتها؛ مما يُعد أحد مقاصد صفات الحروف عند العلماء.



(١) تذكرة النحاة (ص ٢٥).

(٢) المرجع نفسه (ص ٢٦).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) العين (١/٥٢).

(٥) تذكرة النحاة (ص ٢٥).

الفصل الثاني

الدراسة التفصيلية للحروف عند الخليل

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: حروف الجوف

هناك بعض الاختلاف والتعارض في النصوص المنقولة عن الخليل فيما يتعلق بحروف الجوف، فنقل الأخصش عنه أنه قال: «وَلْيُدَوِّ الْيَاءَ وَالْوَاوَ وَالْأَلْفَ مِنَ الْجُوفِ سَمِيَتْ جُوفًا، وَلِلْيَنَاءِ وَامْتِدَادِ الصَّوْتِ فِيهَا سُمِّيَتْ حُرُوفَ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ، مَعَ اخْتِلَافِ مَجَارِيهَا وَتَبَايُنِ مَبَادِيهَا»^(١)، وفي العين نقل الليث عنه أنه «كان يقول كثيرًا: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي: أنها في الهواء»^(٢).

بينما قال في موضع آخر: «أربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفًا لأنها تخرج من الجوف؛ فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»^(٣)، وقال: «ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه»، وقال: «والياء والواو والألف والهمزة هوائية، في حيز واحد؛ لأنها لا يتعلق بها شيء»^(٤).

فهو تارة يجعل حروف الجوف والهواء ثلاثة، وتارة أربعة، وليس هذا فحسب،

(١) تذكرة النحاة (ص ٢٩).

(٢) العين (١/٥٧).

(٣) المرجع نفسه (١/٥٨)، وكذلك في تحقيق محمد حسن آل ياسين لمقدمة كتاب العين (ص ٥٤)، بينما في تحقيقها الآخر لعبد الله درويش (ص ١٦٤) لم يذكر الجوف، وسأها في النص نفسه بالهوائية، وكل من نقل النص عن العين وافق النص أعلاه في تسميتها بالجوف. ينظر: تهذيب اللغة (١/٤٠)، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي (٥/٣٩١)، والموضح للقرطبي (ص ٨٠).

(٤) العين (١/٥٨)، وغالب من نقل عنه وافق نصّه، وتحصفت الياء المثناة في المطبوع من شرح السيرافي لكتاب سيبويه (٥/٣٩٢) إلى الباء الموحدة، وفي نقل تهذيب اللغة (١/٤٠) عنه لم يذكر معهن الهمزة.

بل وردت نصوص عنه أنه عدّها ثلاثة وجعل الهمزة مكان الألف، فقال فيما نقله عنه النضر بن شميل: «والياء والواو والهمزة هوائية؛ لأنها لا تتعلق بشيء من الأحياء»^(١)، وفيما نقله عنه الأزهري من طريق غير الليث ذكر انقسام الحروف إلى صحيحة ومعتلة، وقال: «فالمعتل منها ثلاثة أحرف: الهمزة والياء والواو»^(٢)، ويقول بعد ذلك: «والعويص في الحُرُوفِ المَعْتَلَّةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَحْرَفٌ: الهمزة وَالْألف اللينة وَالْيَاءُ وَالْوَاوُ» ثم يقول عن الهمزة: «مخرجها من أقصى الحلق من عند العين»^(٣).

والهواء والجوف يراد بهما الفراغ أو الخلاء داخل الفم، بمعنى أنه لا يوجد مكان محدد في الفم لخروج هذه الأحرف، وهذا ظاهر عند الخليل بجلاء في أقواله: «لأنها لا يتعلق بها شيء»، «فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة»، «لا تتعلق بشيء من الأحياء»، «لم يكن لها حيز تنسب إليه». وظاهر كلام الخليل في "العين" أنه يجعل الألف والواو والياء من الجوف بإطلاق، أي: سواء كانت مدية أو غير مدية، فقد ذكر أحياء الحروف بشيء من الإجمال، وأورد الأحرف الثلاثة مرة واحدة فقال: «الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء، لم يكن لها حيز تنسب إليه»^(٤)، ولم يذكر للواو والياء حالتها المدية وغير المدية.

وأما فيما نقله الأخفش عنه، فإنه يفرّق بين الحالتين، فيجعل الواو من الشفتين، والياء من وسط اللسان، حال كونها غير مديتين، ويجعلها من الجوف حال كونها مديتين، والألف معها من الجوف؛ حيث ذكر تفصيلاً لأحياء الحروف، وتوضيحاً

(١) تذكرة النحاة (ص ٢٨)، ويقاربه ما نقله الأزهري في تهذيب اللغة (٤٢/١) من رواية عن الخليل ليست لليث، جعل فيها الحروف المعتلة هي الهمزة والياء والواو.
(٢) تهذيب اللغة (٤١-٤٢).
(٣) المرجع نفسه.
(٤) العين (٥٨/١).

لها، وتصريحا بعددها، فقال: «ولها ستة عشر حيزًا»، وقال عن حروف المد الثلاثة: «وليدو الياء والواو والألف من الجوف سميت جُوفًا»، ولم يذكر الألف مع حروف الحلق، وذكر الياء مع الجيم، والواو مع الباء والميم^(١).
وأما الهمزة فقد جعلها أحيانًا كالأحرف الثلاثة حيزًا ولقبًا، بل صرَّح بأن حروف الهواء أربعة، ولم يذكرها أحيانًا أخرى ضمن الحروف الهوائية والجوف، ومرة ذكر الهمزة مع الواو والياء دون ذكر الألف، ولكن مر فيها نقله الأزهري عن الخليل أن الهمزة «مخرجها من أقصى الحلق عند العين»^(٢)، وظاهر هذه النصوص متعارض بين اتجاهين:

- تارة يدرجها مع الحروف الهوائية والجوف التي لا حيز لها.
- وتارة يخرجها منها، وينص على خروجها من أقصى الحلق.

وأقرب توجيه لهذا التعارض هو في التمييز بين حالتين في الهمزة، وكل حالة منهما تناسب أحد الاتجاهين السابقين، ففي الاتجاه الأول يمكن القول: إنه يقصد الهمزة التي أبدلت ألفًا أو ياءً أو واوًا؛ لكون الهمزة تتحول فتصير حرف مد خالصًا، فيُعد حرف المد في هذه الحالة همزة باعتبار أصله الذي أبدل منه، وأما الاتجاه الثاني فهو على الأصل في الهمزة، وهو التحقيق، وقد أشار الخليل إلى هاتين الحالتين في قوله: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفَّ عنها لانت؛ فصارت الياء والواو والألف؛ عن غير طريقة الحروف الصحاح»^(٣).

(١) وسيأتي تفصيل الكلام عن مخرجها في مباحثها.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١/٥١).

(٣) العين (١/٥٢)، وقد ذكر هذا التوجيه أ.د. غانم قدوري الحمد في شرح المقدمة الجزرية (ص ٢٣٤) حيث قال: «يبدو أنه قصد الهمزة المسهلة»، معتمدًا على نص الخليل السابق، والإبدال أحد أنواع التسهيل على إحدى إطلاقات التسهيل عند العلماء، كما يطلق على معنى مخصوص، وهو: النطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها، ويسمى (بين بين). ينظر: إبراز المعاني لأبي شامة (١/٣٤٧)، والقواعد والإشارات للحموي (ص ٤٦) وما بعدها؛ والإضاءة للضباع (ص ٢٣-٢٤).

وفي نص آخر قال الخليل رَحِمَهُ اللهُ: «المدات الثلاث منوطات بالهمز، ولذلك قال بعض العرب في الوقوف: (أَفْعَلِي) و(أَفْعَلَاءُ) و(أَفْعَلُوْ)، فهمزوا الياء والواو والألف حين وقفوا»^(١)، وهذا يزيد من ظهور مدى الارتباط - عند الخليل - بين الهمزة والأحرف الثلاثة من حيث وقوع الإبدال بينها طردًا وعكسًا^(٢).

ومع أن الخليل يعد الأصوات الثلاثة من الجوف فإنه لم يكتف بذلك، بل نبه على اختلاف طبيعة كل منها، عندما قال في النص الذي مر أول المبحث: «مع اختلاف مجاريها وتباين مبادئها»، بل إنه فصل ذلك فيما نقله الأزهري عن غير الليث، فيبين طبيعة أصواتها من حيث وصف كل واحدة، مع بيان منزلتها من الهمزة، فقال: «والياء والواو والألف اللينة.. مدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مخفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة

(١) أفادني بالنص أحد محكمي البحث من مجلة معهد الشاطبي، جزاه الله وجزى القائمين عليها خير الجزاء.
(٢) يُذكر في هذا المقام أن د. كمال بشر في كتابه "دراسات في علم اللغة" (ص ٦٨) قال: «أما المروي عن الخليل فيما يتعلق بالهمزة ففيه خلط واضطراب واضحان»، وحشد بعد ذلك كلامًا طويلًا في بيان ما يراه من خلط واضطراب، ونفى في ثناياه هذا التوجيه الذي ذكرته في الجمع بين نصوص الخليل، بقوله (ص ٦٩-٧٠): «إن ظواهر النقص والتغيير والحذف التي ظن الخليل أنها تلحق الهمزة ظواهر مستقلة، وليست - في رأينا - صورًا أخرى لها أو إبدالًا منها... إن الهمزة همزة فقط حين تحقق وتنطق بالفعل، أما تلك الحالات المشار إليها ونحوها فليست من الهمزة في شيء».

وأكد على هذا المعنى مرة أخرى فرأى في (ص ٧٥) أن الخليل وتلامذته خلطوا خلطًا واضحًا في مخرج الهمزة يتمثل «في عدم نسبتها إلى نقطة معينة من مدارج النطق، وإصرارهم على أنها في الهواء لا حيز لها»، وقال: «ومن المؤكد أن الذي أوقعهم في هذا الخطأ هو نظرهم إلى الهمزة كما لو كانت حرف علة... أو لعلمهم ركزوا على حالة من الحالات التي ظنوا أنها تعترتها، وهي حالة التخفيف أو التسهيل، وهذه الحالة في رأينا... ليست من حالات الهمزة في شيء؛ إذ المنطوق في ذلك ليس همزًا، وإنما هو شيء آخر قد يكون ألفًا أو واوًا أو ياءً، وهذا المنطوق وحده - لا الهمزة - هو الذي يؤخذ في الحسبان».

والحقيقة أن المسألة اصطلاحية، فلا إشكال في اعتقاده أن حالة التخفيف والإبدال ليست همزة، ولكن لا يحكم بهذا الاصطلاح على الخليل رَحِمَهُ اللهُ وتلامذته وعصره؛ إذ من الوارد جدًا أن يسموا الهمزة المبذلة - في اصطلاحهم - همزة حتى بعد تغييرها، ولا إشكال في ذلك ولا غضاضة، والله تعالى أعلم.

بين الشفتين، وأصلهن من عند الهمزة.... فَهَذِهِ حَالُ الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة، وهؤلاء في مُجْرَى واحد^(١).

ويقول في آخر النص: «والحروف المعتلة تختلف حالتها فتجري على مجارِ شتى، من ذلك الألف اللينة إذا مُدَّت صارت مدّتها همزة ملتزقة بها من خلفها...»^(٢). وهذه النصوص تشير إلى أمور مهمة بيّناها في الآتي:

أولاً: سَبَقَ الخليل في بيان وجه الاتفاق ووجه الاختلاف بين الأحرف الثلاثة: حيث يَبَيِّنُ في النصوص السابقة الطبيعة المتشابهة للأحرف الثلاثة من حيث امتدادها في الهواء واتساع مخارجها، وقال هنا: «وهؤلاء في مجرى واحد»، وجاء في هذه النصوص بيان الفرق بينها في النطق ووصف طبيعة كل واحدة منها في الفم، عندما قال: «فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين»، وهذا يعد سبقاً علمياً مهماً له تعلق بنظرية معروفة لدى علماء الأصوات المعاصرين باسم نظرية الحركات المعيارية التي قامت على وضع أسس للتفريق بين الحركات المنطوقة لدى أصحاب اللغات، ومنها الحركات الطويلة الثلاث: الألف والواو والياء.

ثانياً: أن مبتدأ صوت هذه الأحرف هو موضع الهمزة في أقصى الحلق، وهو بذلك يشير بوضوح إلى طبيعة الجهر الذي فيها؛ من كون أصوات المد الثلاثة يصحبها الجهر الذي يكون بتضامّ الوترين مع وجود منفذ للهواء يهتز معه الوتران دون انطباقهما انطباقاً تاماً، ولولا تضام الوترين واهتزازهما لاستحالت الأصوات الثلاثة إلى نَفْسٍ غير مسموع لاتساع مخارجها.

(١) تهذيب اللغة (١/٤٣).

(٢) المرجع نفسه.

ثالثًا: أن أحرف المد الثلاثة لها ارتباط بالهمز من حيث كون التصويت فيها صادرا عن موضع خروج الهمز تحديداً؛ لاتساع مخارجها في المواضع الأخرى من الفم، وذلك أنها تمتاز عن بقية حروف الجهر بكونها أحادية التصويت، بخلاف حروف الجهر الأخرى التي توصف بأنها ثنائية التصويت؛ بحسب ما أشارت إليه الدراسات الصوتية الحديثة، أي: أن حروف الجهر بعامة لها موضعان في الفم يصدر عنهما الصوت، وهما: موضع مخرج الحرف نفسه، وموضع الوترين الصوتيين، كالذال مثلاً، يشترك في إنتاج صوته: ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، إضافة إلى موضع الوترين الصوتيين، وأما حروف المد الثلاثة فمصدر الصوت فيها واحد هو الوتران الصوتيان فقط، والهمزة تشاركها في هذا الأمر.

رابعًا: الإشارة إلى اتساع صوت الألف وظهور ارتباطها بالهمزة أكثر من الياء والواو، عندما قال في النص الأخير: «الألف اللينة إذا مُدّت صارت مدتها همزة ملتزقة بها من خلفها...»، وذلك أن ابتداء صوت الألف من موضع الهمزة، الذي هو موضع الوترين الصوتيين في الحنجرة، ويمتد صوتها بعد ذلك في جوف الحلق والفم، فكان تعبيره دقيقاً عندما قال: «همزة ملتزقة بها من خلفها»؛ لأنها تحصل باهتزاز الوترين الذين ينطبقان مع الهمزة، وهو ما يفسر جعل الخليل الهمزة مكان الألف فيما مر ذكره أول المبحث من قوله المنقول عن النضر بن شميل: «والياء والواو والهمزة هوائية؛ لأنها لا تتعلق بشيء من الأحياء»^(١)، وقوله الذي نقله الأزهرى من طريق غير الليث: «فالمعتل منها ثلاثة أحرف: الهمزة والياء والواو»^(٢).



(١) تذكرة النحاة (ص ٢٨).

(٢) تهذيب اللغة (١/ ٤٢).

المبحث الثاني حروف الحلق

جاءت نصوص عديدة عن الخليل في الحروف التي تخرج من الحلق، وقد أجمَلها عامّةً في قوله: «وأما مخرج العين والحاء والهاء والغين فالحلق»^(١)، وقوله: «خمسَة أحرف مخرجها من الحلق، وهي ع ح ه خ غ»^(٢)، وقوله: «العين والحاء والهاء والحاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق»^(٣).

وقد زاد ذلك بيانا في قوله المنقول عن الليث: «خمسَة حلقية على مدرجة للصوت واحدة، من أقصى الحلق إلى أذناه، وهي: الهاء، والحاء، والعين، والحاء، والغين»^(٤)، فبيّن أنها ليست في موضع واحد من الحلق، بل تتفاوت تفاوتاً يمتد من أقصاه إلى أذناه.

وذكر ترتيبها في الحلق بقوله: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بَحَّةٌ في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء، ولولا هتَّةٌ في الهاء، وقال مرة ههَّةٌ لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الحاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية»^(٥).

والملاحظ أن الخليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يذكرِ الهمزة في النصوص السابقة، وأما فيما نقله عنه النضر بن شميل فقال: «أقصى الحروف كلها: العين، وأرفع منها الحاء ... ثم الهاء ... فهذه الثلاثة في حيز ... ثم الهمزة والغين والحاء، هذه الثلاثة في حيز واحد ...

(١) العين (١/٥٢).

(٢) تهذيب اللغة (١/٤٢).

(٣) العين (١/٥٨)، ولم تُذكرِ الهاء فيه، والصحيح ثبوتها، كما في تحقيق مقدمة كتاب العين لعبد الله درويش (ص ١٦٥)، وتحقيقها الآخر لمحمد حسن آل ياسين (ص ٥٥).

(٤) تذكرة النحاة (ص ٢٥)، وسقطت الغين من المطبوع، وأثبتها من المخطوط (لوحه ١٤).

(٥) المرجع نفسه (١/٥٧-٥٨).

وتسمى هذه الحروف حلقيّة؛ لأن مبدأها من الحلق»^(١)، فذكر الهمزة مع الغين والخاء، ويظهر تناقض بينه وبين جعلها من أقصى الحلق مع العين فيما نقله الأزهرى في التهذيب عن غير الليث بقوله: «مخرجها من أقصى الحلق من عند العين»^(٢).
ويُلاحظ أن الخليل مرّةً أدرج الهمزة في الحروف الحلقيّة، ومرّةً أخرجها، ويفسر ذلك قوله ﷺ: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفِّه عنها لانّت؛ فصارت الياءَ والواوَ والألفَ؛ عن غير طريقة الحروف الصحاح»^(٣)؛
الذي يدل على وجود حالتين للهمزة، كل واحدة منهما توافق أحد النصين، فتكون من أقصى الحلق إذا كانت محققة، وإذا لانّت - أي: سهّلت بالإبدال - كانت هوائية^(٤).



(١) تذكرة النحاة (ص ٢٧).

(٢) تهذيب اللغة (١/ ٤٣).

(٣) العين (١/ ٥٢).

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق.

المبحث الثالث

حروف اللسان

ظاهر نص الخليل المنقول عن الأخفش أنه يجعل مخارج اللسان أحد عشر مخرجا، بحيث يفترق عنده مخرج الشين عن مخرج الجيم والياء، وفيما يلي بيان نصه في كل مخرج، مع ذكر نصوصه الأخرى والربط بينها ومناقشة ذلك:

(١) (٢) القاف، والكاف:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «ثم القاف من فوق اللسان مبداه، وعلى فويق الحنك مجراه، ثم يتكوّف^(١) الكاف من أسفله، حتى يدنو من محله^(٢)»، وهو بهذا حدد مخرج القاف بأنه: فوق الحنك أو فويقه، ويبدو أنه يقصد بالحنك الجزء الصلب منه، فيكون ما فوقه هو الحنك اللين، كما حدد مخرج الكاف بأنه أسفل من مخرج القاف، وأنه يدنو من محل الحنك الصلب، وفي العين ذكر أن مخرج القاف والكاف من بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم^(٣)، وعكدة اللسان هي أصله^(٤)، وقال فيما نقله النضر بن شميل عنه: «ثم التي تليها^(٥): القاف، والكاف، وهما لهويتان؛ لأن مبدأهما^(٦) من اللهاة، إلا أن مخرج القاف من فوق حنكها، ومجرى الكاف من أسفله^(٧)»، وهو قريب من النص الأول مع نوع اختصار.

(١) كذا في المخطوط، وفي المطبوع: (تكون)، قال ابن منظور: «التكوّف: التجمّع»، لسان العرب (مادة كوف) (٣١١/٩)، ونُطِقَ الكاف يتجمع فيه اللسان مع الحنك الأعلى؛ كما هو ظاهر معلوم في مخرجه، وجاء هذا اللفظ على أسلوب الخليل في تطعيم حديثه بالمحسنات البديعية؛ باستعمال اللفظ المجانس للكاف.
(٢) تذكرة النحاة (ص ٢٩).

(٣) ينظر: العين (١/٥٢)، وجعل الجيم معها في هذا النص، ويأتي التعليق على ذلك.

(٤) ينظر مادة (عكد) في: العين (١/١٩٣)، وينظر: خلق الإنسان للأصمعي (ص ١٩٦)، وخلق الإنسان للزجاج (ص ٦٤).

(٥) أي: التي تلي حروف الحلق المذكورة في النص قبل.

(٦) كذا في النسخة الخطية، وفي المطبوع: (مبدأها).

(٧) تذكرة النحاة (ص ٢٧)، وبنحوه في: العين (١/٥٨) دون تفصيل بين القاف والكاف.

(٣) (٤) الشين، والجيم والياء:

قال: «ثم الشين، وله من وسط اللسان شداه، ومن بين الحنك متسداه»^(١)، والشدا: بمعنى الحد والطرف والبقية من الشيء^(٢)، وتسدَّى الشيء: بمعنى ركبته وعلاه^(٣)، وهو بذلك يعبر عن ارتفاع وسط اللسان حتى يمكن وصف ما ارتفع منه بأن له حداً وطرفاً يتلقي بما علاه من الحنك الأعلى.

قال بعد ذلك: «ثم الجيم والياء، وهما من مبدئه، ويعارضانه في مجراه»^(٤)، والذي يبدو أن الضميرين في (مبدئه) و(مجره) يعودان على الشين، إذ لا يمكن أن يعودا على اللسان أو على وسطه أو على الحنك أو متسداه، فإن العادة جرت عنده أن يصف الحرف بأن له مبدأً ومجرى، والشين لتفشيته الذي يجعل لمخرجه نوع امتداد وُصف بأن له مبدأً ومجرى، والمقصود بعبارته أن الجيم والياء يخرجان من مبدأ الشين، ويعارضان الشين بحيث لا يكون له ما للشين من الامتداد بل يتوقفان في موضع لا يتجاوزانه، وهذا أوضح في الجيم أكثر من الياء؛ للشدة التي في الجيم، والله أعلم.

وفي حديثه عن لقب هذه الأحرف الثلاثة قال فيما نقله النضر: «ثم الشين، والجيم، والياء، شجرية؛ لأن مبدأها من الشجر، ومجراها على وسط اللسان ووسط الحنك»^(٥)، وفي العين بنحوه أيضاً غير أنه جعل الضاد مكان الياء، وفسر الشجر بأنه «مفرج الفم»^(٦)، ولم يبين مجراها كما عند النضر^(٧).

ومما له نوع تعلق بالكلام عن هذه الأحرف قوله - في العين - الذي مر جزء منه:

(١) تذكرة النحاة (ص ٢٩).

(٢) ينظر مادة (شدو) في لسان العرب (١٤/٤٢٥).

(٣) ينظر مادة (سدي) في المرجع نفسه (١٤/٣٧٥).

(٤) تذكرة النحاة (ص ٢٩).

(٥) المرجع نفسه (ص ٢٧).

(٦) ينظر تفسير الشجر بالتفصيل في: ألقاب الحروف عند الخليل بن أحمد (ص ١٥٣).

(٧) ينظر: العين (١/٥٨).

«وأما سائر الحروف فإنَّها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لَدُنَّ باطن الثنانيا من عند مَخْرَجِ التاء إلى مخرج الشين بين الغارِ الأعلى وبين ظَهْر اللسان ... وأما مَخْرَجِ الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم»^(١)، ومفهومه يتعارض مع الترتيب الذي نقله الأخفش عنه، إذ جعل الحروف من التاء إلى الشين مجموعة، في مقابل مجموعة الجيم والكاف والقاف، المجموعة الأولى إلى جهة طرف اللسان، والمجموعة الثانية إلى جهة أقصاه.

والإشكال الأظهر في هذا النص ذكره أن الجيم تخرج - مع حرفي القاف والكاف - من بين عكدة اللسان واللهة^(٢)، ورأى بعضهم احتمال كونه يقصد الجيم القاهرية، والتي توصف بكونها كأفًا مجهزة، وهي التي وصفها سيبويه بالجيم التي كالكاف، وعدّها من الحروف غير المستحسنة، والله أعلم^(٣).

(٥) الضاد:

قال فيما نقله الأخفش عنه: «ثم يعارضها لفظ الضاد معارضة الأضداد، من حافة المنباس، وما يليها من الأضراس، ... بعض الناس يخرجها من الشدق الأيمن، وبعضهم يخرجها من الشدق الأيسر»^(٤)، والمنباس: (مفعال)، مشتق من (نَبَسَ) بمعنى: نَطَّقَ وتكلَّم^(٥)، فيكون اسم آلة لما يحصل به النطق والكلام، وهو اللسان، ويكون مقصوده هو حافة اللسان، وإنما جاء بهذا اللفظ على طريقته الرفيعة باستعمال الجناس وحسن السجع.

(١) ينظر: المرجع نفسه (٥٢/١).

(٢) وعكدة اللسان هي أصله كما مرَّ في المخرج السابق، ويأتي أيضًا كلامٌ عنها.

(٣) يُنظر: كتاب سيبويه (٤٣٢/٤)، والمخارج النطقية للأصوات اللغوية في مدرسة التقلبات الصوتية المعجمية لمنير شنطاوي وحسين العظامات (ص ٣١٤)؛ والمصطلح الصوتي في معجم العين لعمر ومذكور (ص ٢٨).

(٤) تذكرة النحاة (ص ٣٠)، ومرَّت الإشارة لتحريف يسير وقع في المطبوع والمخطوط في أول هذا النص.

(٥) تُنظر المادة في: العين (٧/٢٧٢)، وتهذيب اللغة (١٣/١١).

وقريب من قوله - مع اختصار - قول المبرد: «ويعارضها الضاد، ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر»^(١)، وأوضح من عبارة الخليل السابقة وأخصر منها ما نقله النضر عنه حيث قال: «ثم الضاد، وهي حافية؛ لأنها من حافة اللسان وما يليها من الأضراس»^(٢)، وهذا المخرج واضح؛ إذ هو ما ذكره العلماء من بعده بدءاً من سيبويه^(٣)، وشرحه وأوضحه علماء العربية والتجويد^(٤).

(٦) (٧) (٨) اللام، والنون، والراء:

الخليل رَحِمَهُ اللهُ يفرق بين مخارج هذه الحروف الثلاثة، وكان هذا هو صنيع جمهور العلماء من بعده تبعاً له، بخلاف بعض العلماء الذين جعلوا الثلاثة من مخرج واحد^(٥). نقل الأخفش عن الخليل أنه قال: «ثم من حروف اللسان إلى متتهاء مبدأ اللام، ... مجراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المثني، معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات، مشاركاً لبعضها في الانحراف...»، والمراد بالحروف في قوله «حروف اللسان إلى متتهاء» المعنى اللغوي للحرف، الذي هو بمعنى طرف الشيء^(٦)، ويفسره بوضوح قوله الآخر المنقول عن النضر: «مجرى اللام من حافات اللسان إلى منتهى طرفه»^(٧).

ويمكن أن يُعد كلام تلميذه سيبويه كالشرح له، إذ قال: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق

(١) المقتضب للمبرد (١/١٩٣).

(٢) تذكرة النحاة (ص ٢٧).

(٣) ينظر: كتاب سيبويه (٤/٤٣٣).

(٤) ينظر مثلاً: سر صناعة الإعراب (١/٤٧)، التحديد (ص ١٠٤).

(٥) ينظر في تحرير هذه المسألة والقائلين بهذا القول: أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد (ص ٥٣).

(٦) ينظر مادة (حرف) في: الصحاح للجوهري (٤/١٣٤٢)؛ ولسان العرب (٩/٤٢).

(٧) تذكرة النحاة (ص ٢٨).

[الضاحك والناجب والرَباعية والثنية مخرج اللام]»^(١)، والمبرد عبّر عن الحرف اللغوي في نفس السياق كما عبر الخليل في نقل الأخفش عنه، وكلامه في المخرج شبيه به كثيرا، إذ قال: «وتخرج اللام من حرف اللسان، معارضا لأصول الثنايا والرباعيات، وهو الحرف المنحرف المشارك لأكثر الحروف»^(٢).

وأما لفظ «السَّبَك المَثْنِي»، فهو معطوف على «الحنك الأعلى» من باب عطف الخاص على العام، ويراد به جزء من الحنك الأعلى، ولعل المقصود به الخطوط البارزة في مُقَدِّم الحنك التي فوق اللثة، تشبيها لها بحبال السَّبَك، والخليل قال في العين: «ويقال لأسنان المشط: سَبَك»^(٣)، وأما وصفه بـ«المَثْنِي»: فلكون هذه الخطوط البارزة لها جهتان يمينى ويسرى، وبينهما خط فاصل، أو يكون المراد المعنى اللغوي للثنائية، أي بمعنى كثير الانثناء، ويحتمل أن تُقرأ «المَثْنِي»، وموضع هذه الخطوط البارزة فيه انثناء ظاهر، والعلم عند الله تعالى.

قال بعد ذلك: «ثم النون المتحركة .. وهي مشربةٌ غنةً، ومخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا ...»^(٤)، وقيدها بكونها متحركة لأنها حال سكونها قد يشوبها تغيير في مخرجها بحسب ما يقع بعدها كما هو معلوم في أبواب النون الساكنة، ويقاس على المتحركة الساكنة المظهرة، ومخرجها هذا المنقول عن الأخفش كالذي نقله عنه النضر في قوله: «مجري النون بين فويق الثنايا من طرف اللسان»^(٥)، وسيأتي الكلام عن صفة الغنة^(٦).

(١) كتاب سيبويه (٤/٤٣٣)، وما بين المعقوفتين ساقط من هذه الطبعة (تحقيق عبد السلام هارون)، وأثبتته من طبعة بولاق (ص ٤٠٥).

(٢) المقتضب (١/١٩٣).

(٣) مادة (سبك) في العين (٥/٢٩٨).

(٤) تذكرة النحاة (ص ٣٠).

(٥) المرجع نفسه (ص ٢٨).

(٦) في البحث الأخير.

وبعد اللام والنون قال: «ثم الراء بينهما، وهو أدمج من النون في العكد؛ لانحرافه إلى اللام كالمستعكد»^(١)، والمقصود بـ«العكد» هنا: أصل اللسان أو وسطه^(٢)، وأما اللفظ التالي: «المستعكد» فالسين والتاء على الطلب، أي: كأن الراء انحرف من مخرج النون متجهاً مخرج اللام، ومخرج اللام فيه اتجاه إلى «وأما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام؛ لمزية دُموجها في ظهر اللسان عند الكلام»^(٣).

وفي العين أجمَلَ الثلاثة، فقال: «ر ل ن، تخرج من ذَلَقَ اللسان من طَرَفِ غار الفم»^(٤)، وقال كذلك: «والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان»^(٥)، والإجمال يناسب غرض وضع الألقاب للحروف، ويمكن حمل المحمل هنا على المبين هناك^(٦).

(٩) الصاد والزاي والسين:

قال الخليل فيما نقله الأخفش عنه: «ثم الصاد والسين والزاي، ولها من وسط اللسان شبائهُ، ومن فوق الثنايا سَرَّائُهُ»^(٧)، والشبابة: حد الشيء^(٨)، والسراة: ما ارتفع منه^(٩)، فكأنه يقول: لها من وسط اللسان حده، ومن فوق الثنايا ما ارتفع منه. ويبدو أنه يقصد بوسط اللسان هنا: ما توسط من اللسان بين ميمته وميسرته،

(١) تذكرة النحاة (ص ٣٠).

(٢) قال ابن منظور: «العُكْدَةُ والعَكْدَةُ: أصل اللِّسَانِ وَالذَّنْبِ وَعُقْدَتُهُ، وَالْجَمْعُ عَكْدٌ وَعَكْدٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: إِذَا قُطِعَ اللِّسَانُ مِنْ عَكْدَتِهِ فَبِيهِ كَذَا»، وقال: «العُكْدَةُ: عُقْدَةٌ أصل اللِّسَانِ، وَقِيلَ: مُعْظَمُهُ، وَقِيلَ: وَسَطُهُ، وَعَكْدٌ كُلُّ شَيْءٍ: وَسَطُهُ» لسان العرب (مادة عكد) (٣/٣٠٠).

(٣) تذكرة النحاة (ص ٢٨).

(٤) العين (١/٥١).

(٥) المرجع نفسه (١/٥٨).

(٦) ينظر في تفسير الذلق وارتباطه بهذه الأحرف: ألقاب الحروف عند الخليل بن أحمد دراسة تحليلية (ص ١٦٩).

(٧) تذكرة النحاة (ص ٣٠).

(٨) ينظر مادة (شبو) في العين (٦/٢٩٠).

(٩) ينظر مادة (سري) في المرجع نفسه (٧/٢٨٨)، وتهذيب اللغة (١٣/٥٢).

أي: المكان المتوسط بين ميمنة اللسان وميسرته في طرف اللسان، وعليه فلا يكون المقصود بوسط اللسان هنا التحديد المعروف عند العلماء بعده الذي يعنون به ما توسط من اللسان بين أقصاه وطرفه.

ويدل على هذا الفهم ويؤكد عليه ما يلي:

١. تعبيره بالشبابة التي تعني الحد، ولا تصح نسبة الحد إلى المكان الواقع بين أقصى اللسان وطرفه.

٢. ترتيب ذكر مخرج الحروف الثلاثة، فلو كان يريد ما بين أقصى اللسان ووسطه لقدمه في الذكر على اللام والنون والراء.

٣. اللقب الذي وضعه للحروف الثلاثة وتفسيره، وذلك فيما نقله النضر عنه، حيث قال: «ثم الصاد، والسين، والزاي: أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهو مستدقُّ طرفه»^(١)، ومثله قال في العين^(٢)، ويمكن أن يقال: إن مستدق الطرف هو المعبر عنه بوسط طرف اللسان حسب التفسير الذي ذكرته، والله أعلم.

وأما الموضع المرتفع مما فوق الثنايا فالذي يظهر أن المقصود به هو المكان البارز في اللثة، فوق الثنايا العليا بقليل، والذي يقرب منه اللسان لينحصر الهواء بينهما حتى يصل إلى ما بين الثنايا العليا ومستدق طرف اللسان حتى يخرج الهواء أخيراً مما بين الثنايا العليا والسفلى، والله أعلم.

(١٠) الطاء والذال والتاء:

قال فيما نقله الأخفش: «ثم الطاء، والذال، والتاء: من طرف اللسان وأطراف الثنايا»^(٣)، كذا العبارة في المطبوع والمخطوط، وتكررت بنصها في المخرج التالي، مما يظهر أنه سبق قلم من الناسخ، فيكون الصحيح: "أصول الثنايا" بدل "أطراف

(١) تذكرة النحاة (ص ٢٧).

(٢) ينظر: العين (١/٥٨).

(٣) تذكرة النحاة (ص ٣٠).

الثنايا" (١)، يؤكد ذلك قوله فيما نقله النضر: «ثم الطاء» (٢)، والذال، والتاء: نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى (٣)، ومجراها على طرف اللسان وأصول الثنايا» (٤)، ومثل هذا قال في العين دون بيان مجراها (٥)، والمراد: الثنايا العليا، ومخرجها واضح في النص.

(١١) الطاء والذال والتاء:

قال في المنقول عن الأخفش عنه: «ثم الطاء والذال والتاء: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا» (٦)، وقال فيما نقله عنه النضر: «ثم الطاء، والذال، والتاء: لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة ومجراها بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا» (٧)، وما في العين مثله أيضا دون بيان المجرى (٨)، والمراد هنا كذلك: الثنايا العليا.



(١) الذي يبدو هو أنه وقع سهو في نسخ النص، خصوصا مع وقوع سقط ألحق في هامش المخطوط، وهو عبارة: "الطاء والذال والتاء: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ثم".

(٢) في المطبوع: الطاء، وهو تصحيف ظاهر.

(٣) ينظر في معنى لقب (النتعية) وموضع (النتع): ألقاب الحروف عند الخليل بن أحمد دراسة تحليلية (ص ١٦٢) وما بعدها.

(٤) تذكرة النحاة (ص ٢٨).

(٥) ينظر: العين (١/٥٨).

(٦) تذكرة النحاة (ص ٣٠).

(٧) المرجع نفسه (ص ٢٨).

(٨) ينظر: العين (١/٥٨).

المبحث الرابع

حروف الشفتين

قال الخليل فيما نقله الأخفش عنه: «ثم الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين»^(١)، وقال في العين: «والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة: شفوية؛ لأن مبدأها من الشفة»^(٢)، وهو في النص الأخير سوى بين الفاء والباء والميم بأن: «مخرجها من بين الشفتين خاصة»، ويقول: «ولا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصالح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط»^(٣)، لكن لا بد من تقييد الفاء كما في النص الأول عن الأخفش، وكذا جاء عن النضر اختصاص الفاء بكون «مخرجها من الفم بين الثنايا العليا والشفة السفلى»^(٤).

وقد مر أن الخليل - في النص المنقول عن الأخفش - فرّق بين حالتي الواو، فجعل الواو تشارك مع الباء والميم في مخرج الشفتين^(٥)، وأنه لا بد من تقييد هذا بكونها غير مدية، بخلاف ما في كتاب العين من جعل الواو بإطلاق ضمن الحروف التي «تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة... إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»^(٦). ويمكن توجيه جعل الخليل الفاء والباء والميم مختصة بلقب الشفوية بأن الفاء والباء والميم تمتاز بالتصاق الشفتين في الباء والميم والتصاق الشفة السفلى بالثنايا العليا، بخلاف الواو التي لا تلتصق الشفتان عند النطق بها، بل إن الواو - في اعتبار إضافي - تتسع أكثر حال كونها هوائية، حتى يكون التضييق بين الشفتين تجويفياً غير موضعي.

(١) تذكرة النحاة (ص ٣٠).

(٢) العين (٥٨/١).

(٣) المرجع نفسه (٥٢/١).

(٤) تذكرة النحاة (ص ٢٨)، ويُنظر: كتاب سيبويه (٤/٤٣٣)؛ والرعاية (ص ٢٢٧)، والتحديد (ص ١٠٤).

(٥) ينظر: تذكرة النحاة (ص ٣٠).

(٦) العين (٥٧/١).

المبحث الخامس

صفات الحروف

بحسب النصوص الواردة عن الخليل في المصادر، فإن ذكر صفات الحروف جاء ممتزجاً في غالبه مع ذكر المخارج متداخلاً معها، ولهذا فإنه أورد بعض الصفات ولم يفصل فيها تفصيله في المخارج، وذلك على النحو الآتي:

(١) (٢) الإصمات والإذلاق:

قال فيما نقله الليث عنه مما ورد في كتاب تذكرة النحاة عند كلامه عن الحروف الصحاح: «يجمعها لقبان: المصممة والمذلقة، فأما المصممة: فتسعة عشر حرفاً: ... الهاء، والحاء، والعين، والحاء، والغين^(١) ... والطاء، والضاد، والصاد، والطاء، والقاف ... والكاف، والجيم، والسين، والزاي، والشين، والذال، والتاء، والذال، والثاء.

وأما الحروف المذلقة: فإنها ستة أحرف في حيزين: أحدهما حيز الفاء، فيه ثلاثة أحرف: الفاء، والباء، والميم ... والحيز الآخر: حيز اللام، فيه ثلاثة أحرف: الراء، واللام، والنون ... فهاتان المدرجتان هما موضع الذلاقة، وحروفها أخف الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء»^(٢).

ونقل الأزهري في كتاب التهذيب نحو هذا النص عن غير الليث^(٣)، وقال عن المصممة: «هي الصُّمُّ أيضاً»، وجاءت هذه التسمية في كتاب العين عرضاً^(٤)، وسمى فيه الحروف المذلقة بالحروف الدُّلِق والشفوية، وقال: «وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف دُلُقاً لأنَّ الذلاقة في المنطق إنَّما هي بطَرْفِ أَسَلَةِ اللِّسَانِ والشفتين وهما مدرجتا هذه

(١) سقطت كلمة "الغين" من المطبوع، وأثبتتها من المخطوط (لوحه ١٤).

(٢) تذكرة النحاة (ص ٢٥-٢٦).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (١/٤٢).

(٤) ينظر: العين (١/٥٤).

الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة: ر ل ن، تخرج من دَلَقَ اللسان من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشِّمَتَيْن خاصة»^(١).

(٣) (٤) الشواخص والمنخفضة:

أوردها فيما نقله عنه الليث في تذكرة النحاة، عند ذكر كون المصممة تسعة عشر حرفاً، وأنها قسمان: خمسة حلقية، وأربعة عشر مخرجها من الفم، ثم قسم هذه الأربعة عشر فقال: «منها»^(٢) خمسة شواخص، وهن: الظاء، والضاد، والصاد، والطاء، والقاف، وتسعة منخفضة، وهن: الكاف، والجيم، والسين، والزاي، والشين، والذال، والتاء، والذال، والثاء»^(٣).

وورد ذلك أيضاً عند الأزهري من طريق غير الليث، غير أنه سمي القسم الثاني بـ«المنخفضة»^(٤).

(٥) (٦) الجهر والهمس:

لم يرد في النصوص محل الدراسة كلام للخليل عن صفتي الجهر والهمس، وإنما عزت بعض المصادر إلى الخليل بعض الأقوال في ذلك، ويمكن القول بأنها محل نظر، وتحتاج إلى ما يدعمها حتى يُطمأن إلى نسبتها إلى الخليل.

قال الزجاج في معاني القرآن متحدثاً عن الحروف المجهورة والمهموسة: «وهي فيما زعم الخليل ضربان: فالمجهورة: حرفٌ أُشبع الاعتماد عليه في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، والمهموس: حرفٌ أضعف الاعتماد عليه في موضعه وجرى معه النفس»^(٥).

(١) ينظر: العين (١/٥١).

(٢) كذا في النسخة الخطية، وفي المطبوع: "منها".

(٣) تذكرة النحاة (ص ٢٦).

(٤) تهذيب اللغة (١/٤٢)، وينظر: التراث الصوتي عند الخليل بن أحمد من خلال مقدمة معجمه العين لمحمد

جبارة (ص ٢٥١٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٤١٤).

وفي شرح كتاب سيبويه للسيرافي نقل عن أبي الحسن الأخفش أنه قال: «سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور؛ فقال المهموس إذا خففته ثم كررته أمكنك ذلك فيه وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ثم كرر سيبويه التاء بلسانه، وأخفى فقال: ألا ترى كيف يمكن تكرار الطاء والذال وهما من مخرج التاء فلم يمكن، وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل»^(١).

(٧) الانحراف:

أورد هذه الصفة في عدة نصوص، ولم تكن كلها ذات دلالة واحدة أو معنى واحد، حيث وصف الرء بأنها: «منحرفة من مخرج النون إلى اللام؛ لمزية دُموجها في ظهر اللسان عند الكلام» فيما نقله النضر عنه^(٢)، وقال فيما نقله الأخفش: «وهو أدمج من النون في العكد؛ لانحرافه إلى اللام كالمستعكد»^(٣)، ونقل عنه أيضا أنه قال في مخرج اللام المنقول سابقا: «مجراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المثني، معارضا لأصول الثنايا والرباعيات، مشاركا لبعضها في الانحراف»^(٤).

(٨) اللين:

قال عن الياء والواو والألف فيما نقله عنه الأخفش: «وللينها وامتداد الصوت فيها سميت حروف المد واللين»^(٥).

(١) شرح كتاب سيبويه للسيرافي (٥/ ٣٩٥-٣٩٦)، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم الحمد (ص ١١٢)، والأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي لفطرة رحواتي وسلمي زدي (ص ٦٤-٦٥).

(٢) تذكرة النحاة (ص ٢٨).

(٣) المرجع نفسه (ص ٣٠).

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه (ص ٢٩).

(٩) الغنة:

قال عن مخرج النون المتحركة في النص المنقول سابقا: «وهي مشربةٌ غنةً»^(١)، والغنة في كلام الخليل هي: «صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشيم يُعُور من نحو الأنف يعونٍ من نفسِ الأنفِ»^(٢)، وقد قال في آخر ذكر مخارج الحروف: «ثم النون الخفية من الخياشيم»^(٣)، فجعل الخيشوم مخرجا، مع كون الحرف الخارج منه حرفا فرعيا لا أصليا، وهو عمل جمع من علماء اللغة والتجويد ليس بالقليل.



(١) تذكرة النحاة (ص ٣٠).

(٢) مادة (غنّ) في: العين (٤/٣٤٨).

(٣) المرجع نفسه (ص ٣٠-٣١).

الخاتمة

وبعد، فإن هذا البحث، وبعد دراسة كل ما نُقل عن الخليل في موضوع مخارج الحروف وصفاتها = قد أسفر عن نتائج علمية مهمة تتمثل في الآتي:

- أهم المصادر التي حوت كلام الخليل بن أحمد عن مخارج الحروف وصفاتها: كتاب "الزهكالك" لجنادة الهروي (ت ٣٩٩هـ)، نقل عنه ذلك الإمام أبو حيان الأندلسي في كتابه "تذكرة النحاة"، نقلا عن تلامذة الخليل: الليث بن المظفر، والنضر بن شميل، والأخفش سعيد بن مسعدة؛ وذلك أنها أكثر النصوص تفصيلا في الموضوع، وأما كلام الخليل في مقدمة كتابه "العين" فإنه يأتي في الدرجة الثانية؛ لما ظهر فيه من سمة الإجمال، ثم النص الذي أورده الأزهري في مقدمة كتابه "تهذيب اللغة" نقلا عن غير الليث؛ لما فيه من الإجمال وعدم الشمول.

- قول الخليل في عدد الحروف متردد بين كونها ٢٨ حرفا أو ٢٩ حرفا؛ تبعا لكلامه عن حروف الجوف التي يعدها أربعة أحيانا، ويعدها ثلاثة في أحيان أخرى، مع اتفاق نصوصه على كون الحروف الصحاح ٢٥ حرفا.

- للخليل قصب السبق في ترتيب الحروف وفقا لمخارجها من الأقصى إلى الأدنى، وتبعه جمهور العلماء على ذلك عند حديثهم عن مخارج الحروف.

- امتاز النص المنقول عن الأخفش بتعيين عدد مخارج الحروف عند الخليل، حيث صرح بأن لها «ستة عشر حيزاً»، ونصه يحتمل جعل حروف الجوف من غير الستة عشر، كما أن العدد التفصيلي للمخارج يكون ستة عشر بدون حروف الجوف، فيمكن أن يقال إن المخارج عنده سبعة عشر؛ كما نقل عنه الإمام ابن الجزري ومن تبعه، وهذا حل لإشكال علمي حير الباحثين مدة من الزمن.

- للخليل السبق في جعل كل مخرج مستقل لكل من اللام والنون والراء؛ مما هو موضح بالتفصيل في النصوص المنقولة عن النضر وعن الأخفش في كتاب جنادة.

- له السبق أيضا في جعل الخياشيم مخرجا للنون الخفية؛ كما في النص المنقول عن الأخفش عنه.
- اعتني الخليل بوضع ألقاب للحروف، وهذه مسألة معروفة تناقلها علماء العربية والتجويد من بعده نقلا عن كتاب العين، وامتاز النص المنقول عن النضر بتفصيل المخارج عند ذكر كل لقب.
- استعمل الخليل مصطلحات عديدة في المخارج، أهمها (الحيز)، ومنها (المبدأ والمجرى)، و(المدرج والمدرجة)، و(المخرج)، ولم يستعمل للصفات مصطلحا واضحا يجمعها.
- اختلفت النصوص المنقولة عن الخليل في عدد حروف الجوف بين كونها ثلاثة أو أربعة، فهو يعد الهمزة منها أحيانا، والذي يظهر أنه يقصد الهمزة المبدلة.
- امتاز النقل من الخليل عن غير الليث في كتاب تهذيب اللغة للأزهري بكون الخليل يوضح الفرق بين حروف الجوف الثلاثة إذ قال فيه: «مدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين».
- يمتاز هذا النقل أيضا ببيان أن مبتدأ أحرف الجوف الثلاثة هو من موضع الهمزة في أقصى الحلق؛ مما يمكن أن يعد سبقا في الإشارة إلى الدور الجوهرى للوترين الصوتيين في النطق بها.
- الغالب في نصوص الخليل أنه يجعل حروف الحلق خمسة بإخراج الهمزة منها، وفي بعض النصوص يجعلها من الحلق، لكنه يعدها مع العين تارة، ومع الغين والخاء تارة أخرى، والعلم عند الله، وترتيبه لحروف الحلق فيه نوع غموض يحتاج إلى مزيد نظر.
- يجعل الخليل مخارج اللسان أحد عشر مخرجا، حيث يفرق بين مخرج الشين وبين مخرج الجيم والياء، ولا يعد الثلاثة من مخرج واحد، في النص المنقول عن الأخفش عنه.

فهرس المصادر والمراجع

١. أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، غانم قدوري الحمد دار عمار، عمان، ط١، ٢٠١١م).
٢. إبراز المعاني من حرز الأماني، (أبو شامة) عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، تحقيق محمود عبد الخالق جادو، الجامعة الإسلامية - كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، المدينة المنورة، (د.ط)، ١٤١٣هـ.
٣. أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤. الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، فطرة أولياء رحمواتي وسلمى عزة زدني، SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.2 No.2 2021 56-66.
٥. الإضاءة في بيان أصول القراءة، (الضَّبَّاع) علي بن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩م.
٦. ألقاب الحروف عند الخليل بن أحمد دراسة تحليلية، محمد إبراهيم سيف، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، (٣٠)، ١٤٤١هـ، ١٣٣ - ١٩٢.
٧. إنباه الرواة على أنباه النحاة، (القفطي) علي بن يوسف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٩. التحديد في الإتيان والتجويد، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.
١٠. تذكرة النحاة، (أبو حيان) محمد بن يوسف، (مخطوط)، الخزانة العامة، الرباط، (رقم ٢١٤ق).

١١. تذكرة النحاة، (أبو حيان) محمد بن يوسف، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
١٢. التراث الصوتي عند الخليل بن أحمد من خلال مقدمة معجمه العين، محمد موسى السعيد جبارة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، (٣٩)، (٦/٢٠٢٣م): ٢٤٧٥ - ٢٥٢٢.
١٣. التمهيد في علم التجويد، (ابن الجزري) محمد بن محمد، تحقيق غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط.)، ١٩٦٤م.
١٥. خلق الإنسان، (الزجاج) إبراهيم بن السري، تحقيق وليد بن أحمد الحسين، صادرة عن (مجلة الحكمة)، مانشستر، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٦. خلق الإنسان، عبد الملك بن قُريب الأصبغي، (مطبوع مع كتاب الكنز اللغوي في اللسن العربي لابن السكيت)، تحقيق أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، (د.ط.)، ١٩٠٣م.
١٧. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان، ط٢، ١٤٢٨-٢٠٠٧م).
١٨. دراسات في علم اللغة كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، (د.ط.)، ١٩٩٨م.
١٩. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمّان، ط٥، ٢٠٠٨م.
٢٠. سر صناعة الإعراب، (ابن جنى) أبو الفتح عثمان الموصلي، تحقيق حسن هندواوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م).
٢١. شرح الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، (المتوري) محمد بن عبد الملك القيسي، تحقيق الصديقي سيدي فوزي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٢. شرح المقدمة الجزرية، غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٣. شرح الهداية، (المهدوي) أحمد بن عمار، تحقيق حازم سعيد حيدر، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٤. شرح كتاب سيبويه، (السيرافي) الحسن بن عبد الله، تحقيق أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (الجوهري) إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٦. طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٣م.
٢٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٨. غاية النهاية في طبقات القراء، (ابن الجزري) محمد بن محمد، تحقيق ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
٢٩. القواعد والإشارات في أصول القراءات، أحمد بن عمر بن محمد الحموي، تحقيق عبد الكريم بن محمد بكار، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٠. الكامل في القراءات الخمسين، (المذلي) يوسف بن علي بن جبارة، تحقيق: عمر يوسف حمدان وتغريد محمد حمدان، كرسي الشيخ يوسف عبد اللطيف جميل للقراءات بجامعة طيبة، المدينة المنورة، ط١، ٢٠١٥م.
٣١. الكتاب، (سيبويه) عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د.ن)، (د.م)، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٢. لسان العرب، (ابن منظور) محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٣. المخارج النطقية للأصوات اللغوية في مدرسة التقلبات الصوتية المعجمية، منير شنتاوي وحسين العظامات، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٤، العدد الثالث+الرابع، ٢٠٠٨.

٣٤. المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، (الشهرزوري) أبو الكرم المبارك بن الحسن، تحقيق إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
٣٥. المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد، عمرو محمد فرج مذكور، مجلة علوم اللغة - دار غريب، القاهرة، المجلد (العدد) ١٤، ٢١١م.
٣٦. المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب، عادل إبراهيم أبو شعر، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
٣٧. معاني القرآن وإعرابه، (الزجاج) إبراهيم بن السري، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
٣٨. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (الذهبي) محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق طيار آلتي قولاج. (د.ن)، إستانبول، (د.ط)، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م).
٣٩. المقتضب، (المبرد) محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
٤٠. مقدمة كتاب العين في أرجح نصوصها للخليل بن أحمد الفراهيدي، محمد حسن آل ياسين، مجلة البلاغ، (د.م)، العدد ٩-١٠، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٤١. مقدمة كتاب العين في اللغة العربية للخليل بن أحمد الفراهيدي، عبد الله درويش. مجلة معهد المخطوطات العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، المجلد (العدد) ٩، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
٤٢. الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٣. النشر في القراءات العشر، (ابن الجزري) محمد بن محمد، تحقيق السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٥هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣٩٧	الملخص
٣٩٨	المقدمة
٤٠٠	خطة البحث
٤٠١	منهج البحث
٤٠٣	التمهيد
	مصادر دراسة مخارج الحروف وصفاتها عند الخليل بن أحمد
٤٠٨	الفصل الأول
	الدراسة الإجمالية للحروف عند الخليل
٤٠٨	المبحث الأول: عدد الحروف وترتيبها عند الخليل
٤١٠	المبحث الثاني: عدد مخارج الحروف عند الخليل
٤١٦	المبحث الثالث: مصطلحات الخليل في المخارج والصفات
٤٢١	الفصل الثاني
	الدراسة التفصيلية للحروف عند الخليل
٤٢١	المبحث الأول: حروف الجوف
٤٢٧	المبحث الثاني: حروف الحلق
٤٢٩	المبحث الثالث: حروف اللسان
٤٣٧	المبحث الرابع: حروف الشفتين
٤٣٨	المبحث الخامس: صفات الحروف
٤٤٢	الخاتمة
٤٤٤	فهرس المصادر والمراجع
٤٤٨	فهرس الموضوعات